شعرُ هجاءِ الذات
الهجّاؤونَ عند العرب إنموذجاً

Poetry of Self-Satire, Satirists among Arabs as a Model.

م.م. نهلة حنون سادة الحلفي
معهد الإدارة / الرصافة

Miss. Nahla Hanoun Sadeh Al-Halfi.
Institute of Management / Al-Rusafa.

كلمات مفتاحية :الهجاء / الملاسنات اللفظية/ هجاء الذات

Keywords: satire / verbal dialects / self-satire

ملخص البحث

الهجاءُ في المعاجم العربية من هجا يهجو أي شتم وعدّد المعايب ((من هنا يتبيّن خطأ المعاجم العربية التي تفسد الهجاء بالشتم في الشعر)).

وبعد فإنَّ الهجاء يجب أن يقوم على مبدأ التساوي في المنزلة بين المتهاجين. ويبدو إن لفظة الهجاء لها معنى حسي قد تطوّر وأصبح يقصد به المعنى المعهود. وبقي هذا الغرض بارزاً على مرّ العصور ((لأننا قوم عشقنا هذا الولع بالملاسنات اللفظية)) وعلى كلّ حال يظلّ الهجاء وخاصّة هجاء الذات مستهجناً قال الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((لا يقولن أحدكم خشيت نفسي ولكن ليقل لقست نفسي)) لكن ما دفع بعض الشعراء إلى هذا النوع من الشعر (هجاء الذات) ((هو أن وجد الإنسان نفسه حقيراً لا يساوي شيئاً فكل الذي فوق التراب تراب, وبذلك يمتزج الهجاء بالرثاء)) وبذلك تصبح الأغراض الأربعة غرضين)) هذا وإن من هجوا أنفسهم من الشعراء قد تشابهت صفاتهم وحالاتهم الاجتماعية والخلقية فمزج بعضهم الهجاء بالسخرية. وهذا ما سمّي في علم النفس بالماسوشية أمّا هجاء الذات حديثاً فقد أصبح شاملاً لهجاء المرء والحياة وترفّع البعض عن تكبيت نفسه بهجاء لاذع.

Abstract

Satire in the Arabic dictionaries from the satire that satirizes any insult by numbering of defects ((from here it becomes clear the error of the Arabic dictionaries that spoil satire by insulting in poetry)).

Yet, satire must be based on the principle of equal status between satirist. It seems that the word satire has a sensory meaning that has evolved into the usual meaning. This purpose has remained prominent throughout the ages ((because we are a people who have been enamored with this fondness for verbal eloquence)). In any case, satire, especially the satire of the self, remains reprehensible. The noble prophet said ((Don't say I am afraid of myself but I measured myself)). Some poets refer to this type of poetry (self satire) ((It is if a person finds himself insignificant and is not worth anything. All that is above the dirt is dust, and thus the satire is mixed with lamentation)) and thus the four purposes become two purposes)) This and that the poets who satirized themselves were similar in their characteristics and their social and moral situations, some of them mixed satire with irony. This is what is called masochism in psychology. As for modern self-satire, it has become inclusive of one's satire and life, and some have refrained from repressing themselves with stinging satire.

God help

المقدمة

لقد تنوّعت موضوعات الشعر, وتعدّدت لكن بقيت هذه الموضوعات تحافظ على الأغراض الأساسية من مدح وغزل ورثاء وحنين. وقد سادت هذه الموضوعات وتشعّبت إلى فروع لكننا في النهاية نستطيع أن نرجعها إلى الأغراض الرئيسة. وبقي غرض الهجاء بارزاً وظاهراً على مرّ العصور ؛ فالحياة لا تخلو من النواقص والعيوب والأخطاء ؛ لذلك حاول هذا النوع من الشعر أن ينتقد ويوضّح هذه العيوب ويكشفها. على المستوى الشخصي والأسري وعلى مستوى المجتمع والدولة, وأشهر شعراء الهجاء سلاحهم مستخدمين لسانهم ولغتهم اللاذعة للتعبير إمّا عن عدم رضاهم عن الأوضاع السيئة أو للتعبير عن الأزمات النفسية التي عاشوها في حياتهم. وإنَّ المتتبّع للمسيرة التأريخية للأغراض الشعرية يجدها تتفاعل مع التطورات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية, وسيجد في تلك الأغراض دلالات ثقافية عميقة لا تنبئ بتلك التطوّرات فحسب بل بأسبابها ومولّداتها وبارتباطاتها بالفضاءات الأُخرى. إن هذا الاندماج بين الغرض وبيئته. تأثيراً وتأثّراً جعل من الهجاء نوعاً بارزاً في حياتنا العربية على مرّ عصورها ((فنحن قوم عشقنا هذا الولع بالملاسنات والمشاحنات اللفظية. قلما يوجد بيننا من لا يحفظ شيئاً من تراث الهجاء الضخم))[١].

لقد اتخذ الهجاء مع أسلوب السخرية والتهكّم طريقاً ((للنيل من المهجوّ بإضحاك الناس عليه. ولجذب المتلقّي لكي لا يتعاطف من المهجوّ))[٢] إن السخرية التي نتكلم عنها هنا هي الفكاهة العربية كما إن هناك فوارق بين هذه الفكاهة والفكاهات الغربية ليظلّ طابع الهجاء أكثر الصاقاً بالأدب العربي وأكثر تميّزاً عن الهجاء الغربي.

بعد هذا كله يثار تساؤل وهو هل تتقارب الأغراض الشعرية خلف أسوار فواصلها التي وضعت لها ضمن حدود يحكمها المعنى والملامح الدقيقة لكل غرض؟ هل يلتقي غرض الهجاء مع الرثاء ونحن نعلم إن الهجاء ينبع من عاطفة التهجّم والذمّ والنيل من المهجوّ ونعلم أن الرثاء ينبع من عاطفة أخرى يحكمها الانكسار والحزن وخفوت المشاعر الجياشة التي تحكم الهجاء.

هل يختلط الرثاء والهجاء وتنمحي الحدود الفاصلة بين المفهومين؟ ثم إن من الطبيعي والمتعارف عليه إن الهجاء يكون للدفاع عن النفس, فهل من الممكن أن يهجو الإنسان نفسه؟ وهل يحقّ له ذلك وهذا ما نعرفه في غضون بحثي هذا.

ومن الله العون والسداد

تمهيد

الهجاء عُرض أصيل في الشعر بل ربما كان أقدم الأغراض الشعرية

الهجاء لغةً واصطلاحاً

جاء في لسان العرب والمعجم الوسيط

الهجاء بكسِر الهاء مصدر هجاء وهاجي وهو الذمّ وتعديد المعايب ويكون بالشعر غالباً, والهجّاء:- من يكثر سبَّ غيره وتعديد معايبه, وقال صاحب لسان العرب:

هجا هجأه: وهجاء وتهجأ:- أي شتمه[٣] وقال: قال

الليث هو الوقيعة في الأشعار وروي عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: «اللهم إن فلاناً هجاني فاهجه اللهم مكان ما هجاني» أي جازه والثاني محاورة وإن وافق اللفظ اللفظ وهذا لقوله عز وجل وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها, ولكن لأقف قليلاً على ما ذكر في أن الهجاء سبا وشتماً من هذا الأمر: «الهجاء لا يعني الشتم أو السبّ فذا ينأى عن الفن ويبتعد عن الخلود ومن هنا يتبيّن خطأ المعاجم العربية التي تفسد الهجاء بالشتم في الشعر» ويقصد ما ذكر في لسان العرب مادة الهجاء والقاموس المحيط[٤] على سبيل المثال فما الفرق إذن بين الشتم والسبّ زوراً, أمّا الهجاء فيرتبط غالباً بكشف المستور من العورات والنأي عن المباشرة والسطحية»[٥] وقد نبّه الجاحظ إلى ضرورة اعتماد شعر الهجاء على الصدق»[٦]

«فالعرب لا تعرف إلاّ الحقائق ولا تلتفت إلى كلام السفلة»[٧] على حدّ تعبير ابن رشيق وبعد ذلك نتتبّع اللفظة في المعاجم فيقال: «والمرأة تهجو زوجها أي تذمّ صحبته, وفي التهذيب تهجو صحبة زوجها أي تذّمه وتشكو صحبته»[٨]

قال صاحب اللسان عن ابن سيدة: «هذا على هجاء هذا أي على شكله وقدره ومثاله وهو منه»[٩] ويذكر هذا المعنى الزمخشري في أساس البلاغة إذ يقول: «هجاء فلان على مقداره في الطول والشكل»[١٠]

ونفس الألفاظ يردّدها بطرس البستاني «وهو على هجاء هذا أي على شاكلته»[١١] وهذا يعني إن مبدأ الهجاء قائم على التساوي في المنزلة بين المتحاجين فإذا هجاء أحدٌ أحداً في مرتبة أعلى منه فقد لا يلاقي الأول ردّاً كي لا ينزل في نفسه إلى ما دونه, أو أنه يترفّع عن الردّ إلى ما دونه هذا ما ورد في المعاجم العربية عن لفظة الهجاء ويبدو إن هناك معنى حسيا قد تطوّر وأصبح يقصد به المعنى الفني المعهود.

فالهجاء: الضفدع ذلك الحيوان البرمائي زري الشكل المنفر من حيث هيأته وصوته وقفزه. انتقلت الدلالة من هذا الحيوان إلى ملاحظة الشكل والأثر فإذا رميت إنساناً ببعض صفات الحيوان فقد عقدتَ شبهاً بينهما»[١٢]

ثم تطوّرت الدلالة فاتخذت جانباً معنوياً وإن ظلت علاقتها المادية مركبة, فإذا أصاب الإنسان جانب من العطش أو الجوع, ثم شرب أو أكل فقد أذهب ما يجد, فتسكين هذا الشعور المصاحب لتلك الظاهرة تسمّى بالهجاء»[١٣] والهجى الشبع من الطعام.

ثم انتقلت الدلالة إلى تطوّر جديد ملاحظ فيه الأثر النفسي والاجتماعي للمهجوّ, فالهجاء هنا بمعنى التفصيل والتقطيع؛ لأن الشاعر اذا هجأ خصمه فقد بدّد ما يتدثّر به من خُلُق اجتماعي وأزال ما يستره من عيوب, ومن هذا هجاء الحروف أي تعدادّها وتفصيلها والهجاء تقطيع اللفظة بحروفها»[١٤]

لذلك يقول الزمخشري «ومن المجاز فلان يهجو فلاناً يعدّد معايبه»[١٥] ولمّا كان الهجو إنمّا يصدر عن نفسي تكاد تتميّز من الغيظ ويسيطر عليها الغضب, وتمور بالنشر لم تبعد العلاقة بين هذه الحالةِ والقيظ حين تقذفه الصحراء بشوائها من اللهب «فهم يقولون هجو يومنا بمعنى اشتدّ حره»[١٦]

ثم بدأ يستقلّ الهجاء بمعنى محدّد حيث قصر على ذكر المثالب وكشف العورات والوقوف على ما خفي من عيوب الناس ولا سيما السادة الأشراف, ثم انتقل إلى معنى له أَثر في حياة العرب الخاصة وهو إماطة الشاعر اللثام عن هذا النفاق الاجتماعي فهم «يقولون هجى البيت بمعنى انكشف, وهجيت عين البعير غارت»[١٧]

الهجاء: أدب غنائي يصور العاطفة من الغضب أو الاحتقار أو الاستهزاء واقترب بأناشيد العرب الدينية الأولى التي كانوا يتجّهون بها إلى الآلهة في أخبارهم -إن الشاعر كان إذا أراد الهجاء- لبس حلّة وحلق رأسه وترك له ودهن أحد شقي رأسه وأنعل نعلاً واحداً[١٨].

المبحث الأول

الهجاء في العصور المختلفة

لقد تغيّرت قيمة الهجاء تبعاً للعصر والظروف والقيم السائدة في المجتمع فكما هو معروف في العصر الجاهلي كان للشعر وللنسب قيمة وللشجاعة كذلك والكرم. وكان الهجاء يدور في تلك هذه القيم, فالحياة الجاهلية كانت حياة قبلية وبداوة لا يحكمها قانون ولا نظام, فمن المنطقي ألاّ ترى هجاء ولا نقداً إلى الدولة أو المجتمع. نستطيع أن نقول كان الهجاء في العصر الجاهلي فردياً وقبلياً, وكان الهجاء الفردي يعمل على تجريد المهجوّ من الفضائل التي كانت سائدة وهي الكرم والشجاعة, وذلك بسبب أذّية وجّهها المهجوّ إلى الشاعر, أمّا الهجاء القبلي كان يقوم على ذمّ قبيلة معينة وابراز مثالبها ويمدح بنفس الوقت قبيلته ويظهر مناقبها, وبهذا يكون الهجاء بعض الجوانب السياسية, فعندما يقوم الشاعر بهجو قبيلة معينة يدعو بنفس الوقت القبائل الأخرى إلى عدم التحالف معها. ومن أشهر شعراء هذا العصر. النابغة الذبياني وأوس بن حجر وزهير بن ابي سلمى والحطيئة وبشار بن برد.[١٩]

إلاّ إن هذا العصر لم يخلُ من وجود بعض الشعراء الذين امتهنوا الشعر كوسيلة للعيش يسترزقون منه ويبنون أمجادهم على حساب هجاء الناس ومدحهم, فعرف هذا الفن المفرح تارة والمحزن تارة أخرى والذي كان يشكّل قلقاً للممدوح, خوفاً من انقلاب الشاعر عليه وهجائه لاحقاً, هذا وقد خفّ شعر الهجاء مع ظهور الإسلام واقتصر على الردّ والمنافحة عن الإسلام ونبيه الكريم ضد مطاعن شعراء الكفر والضلال إلاّ إن بعض الشعراء تمسّكوا بهذا اللون من الشعر ولم يستمعوا إلى تحذير الإسلام لهم بعدم سباب الناس أو الخوض في أعراضهم ومنهم الشاعر المخضرم الحطيئة المتوفي ٤٥هـ .[٢٠]

أمّا في العصر الأموي فقد ازدهر فنّ الهجاء بسبب كثرة الجماعات المناوئة لحكم الأمويين من الخوارج أو الأنصار فبدأت كل جماعة بهجاء الأُخرى ومن أهمّ شعراء هذه الفترة الأخطل والفرزدق وجرير وقد عرفت قصائد هؤلاء بالنقائض.[٢١]

وقد اتسعت دائرة الهجاء في العصر العباسي لتشمل الأحوال الاجتماعية والسياسية في المجتمع. فقد أخذ الشعراء ينقدون السلطة والأحوال الاجتماعية وظلم الولاة خاصة إن عامل الفقر كان سبباً في نشوء

التباين الطبقي الذي استفحل في العصر العباسي «إن بلوغ الوضع الاقتصادي حالة الترف وما يشاركه من البذخ والعطاء المسرفين في ظلّ بلاط الأمراء والوزراء ويقابل تلك الأوضاع طبقة فقراء المجتمع وهي الفئات التي تعاني ألم العوز والحرمان»[٢٢]

وهل من دافع أكبر من عوز الإنسان لكي يصبح ثائراً هجّاء لمجتمعه فإذا اقترن العوز بدافع آخر مثل مقدرته الذاتية وهيئته وخَلْقه فقد تجد هذا الإنسان الشاعر يتوجّه اتجاه آخر غريب غير مألوف بطبيعة الحال, كأن يتوجّه إلى نوع جديد من الهجاء وهو هجاء الشاعر لذاته ونفسه ومن أشهر هؤلاء الشعراء الحطيئة وابو دلامة وأبو حزبون وابن مكنسة هؤلاء الشعراء هجوا أنفسهم!! فهل هجاء الذات أمر طبيعي؟

إن يقدر الناس قدرك من العلم والمهارة أو الأثر الدالّ عليك فذاك أمر متعارف عليه أمّا أن تقدّر نفسك أو تقيّمها أو تحدّد قدرها سواء في مواطن الحاجة إلى ذلك أو عدمه فذاك الأمر الصعب وهو المستنكر ؛ فقد يتحوّل تقييم الذات من التواضع الملازم لنقد الشخص لنفسه إلى التكلّف ومن المدح التعريفي إلى الغرور المذموم, هل أذمّ نفسي على الملأ؟

روى البخاري ومسلم قول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): «لا يقولن أحدكم خشيتْ نفسي ولكن ليقل لقست نفسي» يقول الإمام ابن حجر في شرحه الحديث الشريف إن المراد طلب الخير بالفأل الحق ويضيف الخير إلى نفسه ولو بنيّة ما يدفع الشر عن نفسه ما أمكن ... ويلحق بهذا أنَّ الضعيف إذا سُئل عن حاله لا يقول: لستُ بطيب بل يقول ضعيف»[٢٣]

ولكن ما يهون علينا الأمر في مدى قناعتنا في هجاء الذات «إن الشاعر ناقد بالفطرة ناقد بالضرورة يمارس نقده على الواقع والثقافة من حوله ثم يمارسه على نصوصه»[٢٤] وهذا الرأي يذهب بنا إلى أبعد من ذلك لأن الشاعر ناقد فلا يجد عائقاً من نقد واقعه, ثم نصوصه تكون وليدة نفسه وذاته وكيف لا ينقد نفسه التي هي وليدة عالمه ومجتمعه. هو يستطيع لأسباب ودوافع قد تلمّ به فتجعله يتجاوز المحظور من القول فما هو سبب هجاء الشاعر لذاته؟

يقول أحد الباحثين [لقد آلت الحياة البشرية إلى هذا النوع من الإحساس بدونية العالم وفقدان أية أهمية لهذه الحياة] لقد أوصل العلم الإنسان إلى حقيقة أنه لا شيء في هذا السديم الكوني الهائل وثمة معنى أكبر من الرثاء وصلت إليه الحياة بعيداً عن هذا الإحساس العام الذي يمنح الإنسان قدراً من تقبّل العالم كما هو, مع ما فيه من تشاؤم يؤول فيه العالم إلى العدم إذ كل شيء سيؤول إلى لا شيء هذا هو المعنى الديني الأساس للخلق, قال تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ} سنعود تراباً كما كنا إذن فلم يكن شكلنا الخارجي بقدر ما تدعو إلى الهجاء والتهوين.[٢٥]

من هذه الرؤيا ربما وجد الإنسان نفسه حقيراً لا يساوي شيئاً ؛ فكل الذي فوق التراب تراب, من هنا ذهب فريق إلى رثاء الذات وانطلق منها فريق آخر لهجاء الذات وتحجيمها وتوبيخها, انطلاقاً من الحديث الشريف: ((رحم الله امرءاً عرف قدر نفسه)) فما هو قدر الإنسان غير أنه تراب, وفي هذه الرؤى

تهوين للدنيا وفيها درجة من درجات الهجاء. فهل كان المعري راثياً أم هاجياً في قوله:

غير مجدٍ في ملّتي واعتقادي

نوح باك ولا ترنم شادي

إن القصيرة لا تخلو من هجاء وتبكيت للبشرية بشكل عام وفي قوله:

وقبيح بنا وإن قدم العهد

هوان الآباء والأجداد

قد صار لحداً مراراً

ضاحكا من تزاحم الأضداد

ودفينٌ على بقايا دفين

ربَّ لحدٍ في طويل الأزمان والآباد

لقد امتزج الهجاء بالرثا. هجاء الدنيا وتصغيرها وتحقيرها وهذا ينعكس على وجوب هجاء الذات بعد هجاء الدنيا وتعرية حقيقتها, هذا يعني إن الشاعر حين يهجو نفسه هو في الحقيقة يرثيها, وبذلك يقول أحد نقادنا: «إن التقسيم الأمثل يكمن في ردّ دراسة أغراض الشعر إلى الدوافع التي أملته لأنه مرتبط بالحالة التي قيل فيها والشعر الذي قاله وهذا يقلّل من كثرة الأغراض»[٢٦] ثم يعرج قائلاً: «إن الأغراض الأربعة التي حرص النقاد الأقدمون على ذكرها يمكن أن يصبح غرضين هما الفخر والهجاء»[٢٧].

هذا يعني إن لا حدود بين الأغراض الشعرية لأن المشاعر الإنسانية المعبّرة تختلط في لحظة من اللحظات, وبذلك يقول محمد بن العباس اليزيدي في كتاب الآمالي: «النسيب نوع من الفخر الخفي»[٢٨].

ومن العجب أيضاً إن قدامة بن جعفر يقول: «إن ليس بين المرثية والمدحة فصل إلاّ أن يذكر اللفظ ما يدلّ على أنه لهالك مثل كان وتولّى وقضى نحبه وهذا ليس يزيد في المعنى ولا ينقص منه لأن تأبين الميت إنمّا هو يمثّل ما كلن يمدح في حياته»[٢٩].

وهذا كله يقرّب لنا فكرة إن الشاعر عندما يهجو نفسه إنّما في حقيقة الأمر هو يرثيها لأن الغرض الواحد يخفي وراءه غرضا آخر.

ولنقترب أكثر من حقيقة الأمر يجب التقرّب من حياة شعرائنا الهاجين لأنفسهم ونعرف الدوافع والمسببّات لهذا الهجاء.

المبحث الثاني

شعراء هجاء الذات

أولاً- الحطيئة: ابو مليكة جرول بن أوس بن مالك العبسي وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية وكان هجّاءً عنيفاً, لم يكد يسلم من لسانه أحد وقد كان الحطيئة فاسد الدين سطحي العقيدة وكان من قبل قد أسلم ثم ارتدّ ولم تعلم له وفادة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا صحبةً له, ولعل ممّا جعله يتهم برقّة دينه دفاعه عن الوليد بن عقبة الذي أتهم بشرب الخمر والعبث في الصلاة ولقد اشتهر الحطيئة من بين شعراء عصره بالهجاء والشتم وكأن هذه الطبيعة المنحرفة فيه لم يغيّر الإسلام منها شيئاً بل بقي على حاله وقد سبّب لسانه السليط متاعب كثيرة»[٣٠].

في ترجمة حياته (السابقة) ذكر تعلّق الشاعر بالهجاء والشتم, وكان لسانه سليطاً, مقابل ذلك أجد رأياً لأحد نقادنا المحدثين عنه يقول: «لقد كان هجاؤه

خليطاً من الألفاظ التي تتنافى مع القيم الأخلاقية»[٣١] وحين نستمرّ في عرض ترجمة حياة الحطيئة نراهم يقولون بأنه قد أسلم في زمن ابي بكر, ولد لدى عبس من أَمةٍ أُسمها الضراء دعيّاً لا يعرف له نسب, كان محروماً مظلوماً لا يجد مدداً من أهله ولا سنداً من قومه فاضطر إلى قرض الشعر ليجلب به القوت».

ولنقف بعد ذلك عند قولهم (فاضطرّ إلى قرض الشعر ليجلب به القوت, إذ كان شعر الحطيئة شعرا مضطرا لقول الشعر, ولا نجد في هذا الرأي شيئاً من المنطق لأن شاعريته الفذّة لا توحي باضطراريته, وإنّما شعره عن موهبة وعلم ودراية. وقد أَفرد له صاحب الأغاني ترجمة وافية في كتابه وقدّمه بالقول: «الحطيئة من فحول الشعراء ومتقدميهم وفصائحهم متصرّف في جميع فنون الشعر من المديح والفخر والهجاء والنسيب مجيداً في ذلك أجمع»[٣٢], فهل بعد هذا القول اضطرار؟ والأصوب أن يقال كان شعره سبيلاً لجلب قوته, وإذا مضينا في ذكر حياته نرى «أن أخوته قد تنصّلوا منه وقد حاول التقرّب منهم بكل الوسائل ولكنهم رفضوا أن يقرّبوه منهم, وقد كان قصير القامة لا يقوى على الحرب فوجد أنه لن يتفوّق على غيره من الشعراء إلاّ بالشعر, وقد تنقّل بين القبائل, وكان يعرض عليهم الانتساب إليهم لأن قبيلته قد رفضوه. ولم يكن يشعر بالانتماء إلى قوم معيّنين وقد ذكر «أنه كان حنوناً مع أطفاله رغم هجائه الناس»[٣٣] وقد يكون هذا الكلام غير صحيح نظراً لشعر الهجاء الذي نسب إليه في زوجته «فهو لم يتوان عن هجاء نفسه ووالدته وزوجته بقصائد مدهشة في التعابير برغم عدم تفوّهه بكلام دنيء أو قذر»[٣٤].

إذاً هو لم يتفوّه بكلام دنيء أو قذر في هجائه لكني أجد من يهجوه بكلام قاس في نقله لترجمة حياته, كقول ابن كلبي «كان الحطيئة من أولاد الزنا الذين أشرفوا»[٣٥].

ومن الأبيات التي قالها الحطيئة في هجاء والدته:

تنحيّ فاجلسي مني بعيداً
أراح الله منك العالمينا
لم أرض لك البغضاء مني
ولكن لا اخا لك تعقلينا
أغربالاً إذا استودعت سراً
وكانوناً على المتحدثينا
جزاك الله شراً من عجوز
ولقاك العقوق من البنينا
حياتكِ ما علمت حياة سوء
وموتكِ قد يسرَ الصالحينا[٣٦]

ومن هذه الأبيات وصف أحد النقاد الحطيئة بقوله «لا يخضع للرحمة ولا للشفقة وإنما يحاول أن يضرب ويلدغ دون النظر إلى من هو الملدوغ»[٣٧] بينما يعطي أحدهم الحقّ في هذا الهجاء فيقول: «الذي يعرف حياة الحطيئة لا يحقّ له أن يلومه على هذا الهجاء, فهو لم يكن إبناً عادياً لأم برّةٍ عطوف بل هو ابن معذّب يشعر بالمعاناة ممّا لحقه من خطأ أمه. هجاؤه هو الاعتراف من الشاعر بجرحه الداخلي الذي يسيل في أعماق نفسه»[٣٨].

«والذي ينبغي الوقوف عنده هنا استنكار الرواة هجاءه لأمه متناسين بذلك أنه هجا أُماً كانت مصدر شقائه وسبب بلائه ومحنته»[٣٩], وبذلك برّر هذا الناقد هجاء الشاعر لأمه بشكل يخرجه من قفص الاتهام فيعطي له الحق في هذا الهجاء ويحوّله من معرض الاتهام إلى جانب الإنصاف والحق, وإني أرى في هذا التبرير صدقاً.

أمّا في هجاء الشاعر لأبيه:

لحاك الله ثم لحاك حقاً

أباً ولحاك من عم وخال

فنعم الشيخ لدى المخازي

وبئس الشيخ أنت لدى المعالي

جمعتَ اللؤم لا حيّاك ربي

وأبوابَ السفاهةِ والضلالِ[٤٠]

وهذا الهجاء له سبّب بكل تأكيد لأن أباه أيضاً كان سبباً في معاناته لأنه تركه من دون نسب.

ومن ناحية أُخرى فإن ما يزيد معاناة الشاعر قصر قامته الملفت وتقزّمه ؛ لذلك لقّب بالحطيئة, وكما هو معروف أنه كان يحمل نفساً متذمّرة في وقته وكان لديه لسان ناقد يلدغ كل من يراه. وهو في حاله هذه لم يجد من يعذره, حتى عمر بن الخطاب لما سمع هجاءه في والدته قال: «إني أراني قاطعاً لسانه علي بالموسى, بيد أن الجالسين توسّلوا به أن يتركه على ألاّ يعود للهجاء مقابل ثلاثة آلاف درهم ... فتمّت الصفقة وقيل انه لم يعرف من بقي من الناس ليهجوه في هذه الحالة فنزل ليأتي بشيء من الماء لنفسه فرأى صورته على صفحة البئر فاستصبح هيأته وعندئذ جاء الوحي الشعري فقال:

أبتْ شفتي اليوم إلاّ تكلماً

بسوء فما أدري لمن أنا قائله

أَرى ليّ وجهاً قبح اللهُ خلقه

فقبحَ من وجه وقبح حامله»[٤١]

وبذلك تراشقت عليه التهم والتعليلات التي تجعل من الشاعر مريضاً نفسياً حتى قال أحدهم: «كان هجاؤه بسبب شعوره الدائم بالنقص والظلم»[٤٢] وقال آخر: «إنّ انطباع شخصية الحطيئة بطابع السخرية يرجع إلى عدم اهتدائه لأبيه وهي العقدة التي لازمته طوال حياته وجعلته حاقداً على مجتمعه»[٤٣].

وكذلك قال ايليا الحاوي «لا شك أن نفسية الحطيئة تجري وفقاً لمنطق خاص, أنه منطق التعقيد والسويداء والاختلال والكفر والسخرية وكأن نفسه ازدوجت وتضاعفت»[٤٤].

لكن هناك من أنصف الحطيئة بقوله: «لم يفهمه الرواة ولا المحيطون وأصبح مريضاً نفسياً تحت مجاهر التحليل النفسي للأدب لأنه هجا نفسه, عن ثقة أراه بالمقابل شجاعاً شجاعةً نادرةً فيما فعل وينمّ تصرّفه عن ثقة بالنفس أكثر ممّن يمدح ذاته أو يفتخر بها»[٤٥].

«فالحطيئة عندما هجا نفسه كان في واقع الأمر يرثي حالته الدميمة ويواجه نفسه بحقيقتها وكأنه يريد أن يقول قبل أن تهجوني وتذّكروني إن الحطيئة بفعله هذا كان يتبرّأ من عيوبه الخلقية كونه لا دخل له فيها, فهو لم يخلق نفسه»[٤٦].

ثم يقول الدكتور عناد غزوان: «إن الحطيئة

يجابه الواقع بصراحة وجرأة فلم يجد ما يمنعه من تعريف الواقع بحقيقة مأساته بعد أن تنكّر له لفظه إنه يتحدّاه ويسخط عليه. إن ذاته البريئة لم تعد تحتمل العذاب والإهانة والذلّ فانطلق صوته الجريح متمرّداً ساخراً يصوّر ألم السنين التي ذاق مرارتها طفلاً بريئاً أو صبياً يافعاً أو شاباً محروماً»[٤٧].

وهكذا يقع الشاعر بين ناقد جارح يضعه في مجال الأمراض النفسية وبين ناقد متعاطف جداً يصوّر الشاعر ضعيفاً عانى وقاسى ألم النسي, والحق إن الشاعر هو معبّر عن معاناة مجتمعه المليء بالتناقضات وأصبحت سمة الشعر الساخر هو النمط الشائع آنذاك كما قال ابن سلام: «ومّما يميّز الهجاء في العصر العباسي هو ذلك الإقناع في رسم الصورة الساخرة»[٤٨].

وهكذا اتسعت دائرة الهجاء لتشمل جميع الأحوال في المجتمع (النقد الساخر) وبذلك يطبّق هذا النقد على الشعراء الناقدين لذواتهم ؛ لأن النقد أصبح صفة عامة, قد يتداوله الأصحّاء من الشعراء ومن لا يعانون من عيب خلقي, وقد يكون نقد الذات أقلّ وطأة وأخفّ ذنباً ممّن يهجو الآخرين, فلماذا لا نوجّه أصابع الاتهام بالمرض النفسي لشاعر كابن الرومي الذي أسرف في هجاء الآخرين, منتقداً الناس لعيوب لا شأن لهم بها بل هي من صنع الخالق حين يقول:

قصرت أخادعه وغار قذاله

فكأنما متربّص أن يصفعا

قد يكون الضغط النفسي أحد الدوافع التي تثير الشاعر وهو كتلة من المشاعر والأحاسيس مع موهبة شعرية وهبت له عن سائر الناس, فليس هو بالمريض وإنّما «رافض بالفطرة».

وقد توّهم من قال: «إنَّ الحطيئة وحيد نوعه في هجاء نفسه»[٤٩] لأن كتب الأدب ذكرت لنا آخرين هجو أنفسهم منهم ابو دلامة وأبو حزبون وابن مكنسة «ولكل شاعر من هؤلاء ظروفه التي جعلته يهجو ذاته لكنه كان يرثيها من جانب آخر ويلطم بكفه العالم الآخر ويهجوه من خلال هجاء الذات»[٥٠].

ثانياً- ابو دلامة: هو زند بن الجون وابو دلامة كنيته كوفي النسب, وأسدي القبيلة لأنه كان مولى لبني أسد, شاعر عباسي معروف كان أبوه عبداً لرجل من بني أسد يعرف بقصائص فاعتقه, ولم تذكر المصادر عن عائلته سوى أبيه وابنه وابنته وأمه وامرأته, وكان أسود حبشيا صاحب نادرة وبديهة إلى جانب دمامة في المنظر, كانت وفاته سنة ١٦١ هـ وكان مطبوعاً مغلقاً طريفاً كثير النوادر في الشعر وكان صاحب بديهة يداخل الشعراء ويزاحمهم في جميع فنونهم ينفرد في وصف الشراب والرياض وغير ذلك[٥١].

وللشاعر أبيات رسم نفسه في صورة ساخرة إذ جرّد نفسه من أي صفة تجعله في مراتب الإنسان حين قال:

ألا أبلغْ إليكَ أبا دلامة

فليس من الكرام ولا الكرامة

إذا لبس العمامة كان قرداً

وخنزيراً إذا نزع العمامة

جمعت دمامةً وجمعت لؤماً

كذلك اللؤم تتبعه الدمامة

فان تك قد أصبت نعيم دنيا

فلا تفرح فقد دنتْ القيامة[٥٢]

يروى أنه أنشد هذه الأبيات أمام المهدي وعنده نفر من عليه القوم وإن غايته كانت إضحاكهم وإشاعة جو من البهجة في مجلسهم ؛ لذلك فإنه ّ في رسم صورة ساخرة لنفسه مشبّهاً نفسه تارة بالقرد في حالة لبسه العمامة وبالخنزير تارة أخرى إذا نزع عن رأسه عمامته وهو نوع من التصوير التشبيهي البليغ إذ إنه جاء محذوف الأداة وهذا أدعى إلى توّحد طرفي الصورة التشبيهية بأن المشبّه يرتقي إلى مصافّ المشبّه به, «إن الغرابة في الأمر هي أن الهجاء يكون للدفاع عن النفس لكن أن يهجو الشاعر نفسه فذلك خروج عن المعتاد وذلك إن دلّ على شيء إنما يدلّ على تمكّن الشاعر من الشعر وبراعة أسلوبه وقوة ألفاظه مع التحفّظ على كل ما يخدش كرامة الإنسان»[٥٣] هذا هو الأصل في الصورة الساخرة للهجاء الشخصي «ثم تطوّر تطوّراً خطيراً فأصبح الشعراء يبالغون في استخدام الألفاظ التي تخدش الحياء وترفضها الآداب العربية»[٥٤] فهل يا ترى إن الهجاء طبع بطابع السخرية والدعابة لوجود شعراء متحلّين بهذه الصفة بطبعهم أصلاً أم انتهج الشعراء هذا النوع من السخرية لغرض معين؟

يقول أحد النقاد: «هؤلاء المتفكهون غير الآبهين لصرامة الحياة وقسوتها, نوع من الناس ينضح بالبراءة والسذاجة في آن واحد وفي حضرة الخلفاء نجد أمثلة لهؤلاء المتحامقين بمثابة مضحك السلطان الذي يخرجه من عالم الرتابة والجمود إلى البهجة والسرور والفكاهة ؛ فالنفس لا تحب البقاء على حالة واحدةٍ جامدة»[٥٥] وكما قيل عن الحطيئة وحالته النفسية السوداء كذلك توجّه النقد إلى أبي دلامة بنفس العبارات يقول المغربي: «إنّ مثل هذا الهجاء يعد من السخرية المقذعة التي تختلط باليأس والنفور من كل شيء حتى أنه ليرى نفسه قرداً وخنزيراً وهذا وإن دلَّ على شيء فإنه يدلّ على المسحة النفسية السوداء التي كان يحملها هذا الشاعر»[٥٦].

ومن الشعراء الذين هجوا ذواتهم ابن مكنسة هو ابو طاهر بن محمد الاسكندراني وهو شاعر مكثر التصرّف قليل التكلّف يختلف شعره بين الجدّ والهزل وبين الجزالة والرقة, ومن فنونه المدح والرثاء والهجاء والغزل والخمر في زمن الدولة الفاطمية توفي سنة ٥١٠هـ .

ولابن مكنسة أبيات في هجاء نفسه بأسلوب ساخر كوميدي يقول:

أنا الذي حدثكم عنه ابو الشمقمق

فقال عني إنني كنت نديم المتقي

بلحية مسبلة وشارب محلقٍ

يا ليتها قد خلقت من وجه شيخ خلقٍ[٥٧]

كما ملاحظ من هجاء الشعراء لذواتهم أن قصائد هجائهم عبارة عن مقطوعات قصيرة, ولم تبلغ قصائد طويلة ؛ لأن الهجاء لقطات سريعة تخطر ببال الشاعر فعند الإمكان في أبيات ابن مكنسة أنه تناول «موضوعاً شائعاً في العصر العباسي وهو هجاء

اللحى الطويلة, لقد اتخذ كثير من الشعراء العباسيين اللحى وطولها وعدم ترتيبها أو تنظيفها غرضاً لهم للنيل من أصحابها ليسخروا منهم أولاً لأن مثل هذا الإنسان يستحقّ الفضح»[٥٨] «وليطهّروا المجتمع من تلك الحال السلبية يريد الشاعر أن يطهّر المجتمع العباسي من كل ما فيه من مثالب فردية»[٥٩].

إلاّ إنَّ ابن مكنسة لم يهج لحى تلك الحالة في مجتمعه وإنما اتخذ من تلك الحالة السلبية في المجتمع ليهجو نفسه كما نلاحظ ذكر الشاعر لابن الشمقمق شاعر الهجاء أي هجا ابن مكنسة نفسه بأنه مهجوّ في المجتمع وآثار قبحه ذكرها شاعر هجّاء.

أمّا الشاعر ابن حزمون:- هو أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن حزمون من المريّة يقول فيه ابن سعيد «صاعقة من صواعق الهجاء»[٦٠] يقول ابن عبد الملك المراكشي: «كان شاعراً مغلقاً ذاكراً للآداب والتواريخ بذيء اللسان مقذع الأهاجي»[٦١] وأنه كان أحد من مدحوّا المنصور يعقوب الموّحدي أن هجا نفسه وكأنما أراد أن يقتصّ منها لكل من رماه بسهام هجائه فقال:

تأملت في المرآة وجهي فخلته
كوجه عجوز قد أشارت إلى اللهو
اذا شئت أن تهجو تأمل
خلقتي فان بها ما قد اردت من الهجو
كأنّ على الأزرار مني عورة
تنادي الورى غضوا ولا تنظروا نحوي
فلو كنت ممّا تنبت الأرض لم اكن
من الرائق الباهي ولا الطيب الحلو[٦٢]

يقول شوقي ضيف «وفي الحق أنه كانت في ابن حزمون مرارة كثيرة»[٦٣] ويقول ناقد آخر «وهذا نوع من السخرية من الذات وهو نوع من الهروب من مشكلات المجتمع والواقع المرّ الذي عاشوه»[٦٤] وغير هؤلاء الشعراء وجدت أن ابا العتاهية قد ذمّ نفسه:

الا من لنفسي في الهوى قد تمادت
اذا قلت قد مالت عن الجهل عادت
وحسب امرئ شراً باهمال نفسه
وامكانها من كل شيء أرادت
تزاهدت في الدنيا وإني لراغب
أرى رغبتي ممزوجة بزهادتي
وعوّدت نفسي عادة فلزمتها
أراه عظيماً أن أُفارق عادتي
إرادة مدخول وعقلٍ مقصرٍ
ولو صح عقلي لصحت إرادتي
ولو طاب لي غرس لطابت ثماره[٦٥]
ولو صح لي غيي لصحت شهادتي

وهذا هجاء من نوع آخر فلم يظهر نفسه بمظهر السخرية وإنما رمى نفسه بالجهل المتأتّي من السعي وراء الرغبات.

وكذلك ابو العلاء المعري, وجدت له بيتاً قد هجا نفسه به, إذ رمى نفسه بالجهل يقول:

كم جزتُ شهراً وكم جرَّمتُ من سنة
ما أراني إلاّ جاهلاً غمرا[٦٦]

هنا أيضاً ابو العلاء ينعت نفسه بالجاهل المغمور.

بعد هذا نتساءل هل شعر هجاء الذات مقبول عرفاً

ودينياً؟ وما هي صورة الهاجي لذاته في المجتمع؟

إن الفترات الأقل حظاً في التطوّر الحضاري تشهد أنماطاً من السخرية تطال كل الأطراف بدءاً من الذات, فالساخر في هذه الحالة يهجو نفسه إن لم يجد من يهجوه كما كان يفعل هؤلاء الشعراء الذين تناولناهم بالدراسة إذ اجتذبهم الهجاء حتى العمى مستخدمين لذلك السخرية المفرطة «وذلك ما يسمّى في علم النفس مرض الماسوشية الذي ينتهي بضحاياه إلى أن يتلذّذوا بالسخرية من أنفسهم ومن حاضرهم وماضيهم»[٦٧].

هجاء الذات في العصر الحديث

أمّا هجاء الذات في الوقت الحالي فبالرغم من أن واقع حال بعض الشعراء لا يخلو من بسط اللسان لكن يظلّ حرص الشاعر على ظهوره بأحسن صورة مشرفة ما يدفعه أن يتجنّب هذا الغرض لكثرة متاعبه وكذلك ما يسبّبه من مشاحنات وتباعد وردود الأفعال من قبل الآخرين التي تقود الشاعر إلى اتجاه لم يكن يحسب له حسبان, وبعضُ قصائد الهجاء يكون تأثيرها النفسي مؤلما ووقعها قويا على النفس فأصبح هذا النوع من الهجاء مكروهاً أمام الناس لما في ذلك من أثر تربوي سيئ على النفس السامعة والقائلة فالأمر وأقبح وأسوء وهو من الرياء المبطّن والتكلّف المذموم يقول الحسن: «ذمّ الرجل نفسه في العلانية مدح لها في السر» ويقول «من أظهر عيب نفسه فقد زكاها وقد يحصل أحياناً أن ينقد المرء نفسه حتى تكليف أو نتيجة ضعف ... أمّا اذا أراد الإنسان معاتبة نفسه ورد كيد الشيطان عنه ومحاسبة ذاته فهذا كله أمر حسن ولكن بشرط أن يفعله بينه وبين ربه لا أمام الناس وإلاّ تحوّل نوع من الغرور»[٦٨].

فالنقد للنفس والمعاتبة في الخلوات هو المطلوب, وبعض الناس يخلط بين المحاسبة التي تقتضي ذمّ النفس سرّاً وبين الحديث عن نفسه وذمّها علناً, فيظنّ أن ذكره لعيوب نفسه من الدين والأمر ليس كذلك, فإن ذكر الذنوب والمعاصي ومذام النفس لا يصلح إلاّ في إطار ضيّق للغاية له محدداته.

إذاً «من غير المنطقي أن يهجو الإنسان نفسه لكن هذا الأمر عند شاعر الهجاء غير قابل لقياسه بميزان المنطق وبذلك تكون حتى نفسه لم تسلم من لسانه», لكن ثمة ظروفاً اجتماعية تدفع الشاعر أن يعبّر بقسوة وهجاء مرير كما حدث مع الشاعر الفلسطيني يحيى حسن الذي تعرّض في طفولته إلى عنف أسري من أبيه فيقول في مقطع من قصيدة (طفولة):

خمسة أطفال مصطفون وأب بهراوة
شتى أنواح النواح وبركة من شخيخ

وثمة قصيدة هجاء لشاعر يسمى أحمد صفوت الديب يقول في مقطع منها:

أهذا الوجه تعشقه امرأة كلا
فذا وجه عليه من الله العزيز المنتقم
غضب
أنا الشيطان
ولو أنا لم أكن لغدوت أقبح من مليون
شيطان
أنا المغرور والمتكبّر الملعون
لعنت على لسان الأنس والجان

وهكذا نرى إن أسلوب هجاء الذات حديثاً قد اختلف جذرياً مع اختلاف مقتضيات الحياة في الأسلوب والفكرة..

يقول أحد نقادنا: «لقد تطوّر مفهوم هجاء الذات وأصبح شاملاً لهجاء المرء والحياة بمجملها وهجاء الأمة التي ينتسب لها وأصبحت المحاكمات العامة بارزة في كثير من الأعمال الأدبية والفكرية فمثلاً يحمل الأدب الحزيزني نزعة تشاؤمية تحطّ من قيمة الذات الجمعية العربية نتيجة هزيمة الخامس من حزيران ١٩٦٧ , لقد سادت حالة من الهجاء للذات العربية بكثير من الكتب والمؤلفات, وشاعت صور هجائية محتقرة للعرب في أذهان هؤلاء الكتّاب, إنها حالة كبرى من الهزيمة والهجاء ولكنها تسلم من نزعة رثاء الذات الجمعية».

الخاتمة

ممّا لا شكّ فيه إنَّ شعر هجاء الذات هو فرع من فروع الشعر الذاتي بكل أشكاله وصوره وأغراضه, وقد أصبح هذا المصطلح يعني الوسيلة الفنية التي يتوسّل بها الشاعر من شيء ما تضيق به نفسه من معاناة تشير فيه الغضب على المصاعب والعراقيل التي تحول دون نيل الأهداف والغايات التي يريدها. إن هجاء الشاعر لذات هو يرثيها في حقيقة الأمر ولكن على طريقة التبكيت والحطّ من قدرة الذات وتعريته للآخرين من خلال ذاته.

فشعراؤنا عندما هجوا ذواتهم كانوا في واقع الأمر يرثون حالاتهم من دمامة الخلق وما كانوا عليه من منزلة اجتماعية, فواجهوا أنفسهم بحقائقها, وما كان من الرواة والمحيطين بهم إلاّ أن ينعتوهم بالمرض النفسي ويضعوهم تحت مجاهر أحكامهم.

يقول فرويد: ((إن الإنسان يخفي كل ما يراه مستقبحاً لدى المجتمع ممّا يؤدي به إلى الكبت وهذا بدوره يؤدي إلى المرض النفسي)) ّ إن شعراءنا قد أعلنوا ما حقّه أن يخفى من العيوب وما أرى ذلك إلاّ شجاعةً من عند أنفسهم, فأصبح الهمّ الذي يعيشه الشاعر ((القبح)) أفقاً تجاوز المفهوم الضيق ليفتح على أبعاد دلالية ثرّة من هجاء إلى رثاء النفس إلى نقد الواقع أجمعه ولذلك قال ابو العلاء المعري في أحد شعراء هجاء الذات وهو الحطيئة ((إن هجاءه لنفسه كان إبداعاً لم يسبقه إليه أحد, وبما إن الخصائص نفسها قد اشترك فيها شعراء الذات (مجال الدراسة) هذا يعني أنهم جميعاً ينطبق عليهم قول أبي العلاء إلاّ أنَّ الحطيئة وغيره من شعراء هذا الشعر قد اتهموا بأنهم لم يؤمنوا وإن دخلوا الإسلام وهذا القول اتهم به على وجه الخصوص الحطيئة. وقيل عنهم لم يعد لقول الله تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ) أية قيمة تذكر في عرف هؤلاء الشعراء.

فما هو موقف الإسلام من هذا النوع الأدبي؟ لقد عرضنا في متن البحث إن هجاء الذات ليس من باب تبرئة النفس الإنسانية من الذنوب وإنما الاعتراف بأخطاء النفس وجب بين العبد وربه. وإن الإسلام منع الشعر بصورة عامة والهجاء بصورة خاصة من باب قول العرب.

وجرحُ السيف يزول وجرح اللسان يطول

وقد فسرت الآية القرآنية الكريمة:

(أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)

فبعض نقادنا فسّر الآية القرآنية بأن الله تعالى حرّم الشعر وبعضهم قال إن الله تعالى أعطى للشعراء عذراً بأن قولهم لا بأس به لأنه مجرد قول ورغم رفض الإسلام للشعر وتحريمه إلّا ما ينفع الإسلام والناس إلاّ إن للرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) حديثا شريفا قال فيه صلوات الله عليه وآله ((لا تترك العربُ الشعر حتى تترك الإبل الحنين)) بعد هذا نرى إن الإسلام أعطى الفنان حرية واسعة ولم يجعله عبداً لا يفعل إلاّ بما عليه دون إرادةٍ وإذ يدعوه إلى سلوك اجتماعي مقبول فإنه لم يسلبه حرية الموقف الشخصي شرط أن لا يؤذي غيره. إنّ أشهر النصوص الواردة عن الإمام علي (عليه السلام) تبدو فيها العديد من القيم والتعابير النقدية المستمدّة من نظرة الإسلام للشعر ما تحدّث به في البصرة بين المتخاصمين حول الشعر قال (عليه السلام): ((كل شعرائكم محسن ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعلمنا أيهم أسبق إلى ذلك وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن فيه وأن يكن أحد أفضلهم فالذي يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر فإنه كان أصبحهم بادرة وأجودهم نادرة)).

إن الإمام عليا (عليه السلام) لا يرفض ولا يستثني أي لون أو غرض من أغراض الشعر حتى الوثني منه ما دام شعراً جميلاً بكونه تراث العرب جميعاً, وذلك بغضّ النظر عن عقيدة أو جنس أو لون صاحبه, وهنا نلمس أحكاماً في تحطيم العصبية القبلية والفكرية والجنسية التي ألغاها الإسلام ؛ ولأن المقياس النقدي المعتمد على عصبية الدم والجنس واللون ليست من مقاييس النقد الصحيح اطلاقاً هذا وإن هجاء الذات في زماننا الحالي قد تغيّر لتغيّر الزمان والناس فأصبح الشاعر لا يتجرّأ على هجاء ذاته لأن ذلك يترتّب عليه أمور معنوية ونفسية كثيرة, لكن بعض الشعراء هجوا أنفسهم ليهجو واقع الأمة العربية. وقد بلغ النفور من هجاء الذات حدَّ الاستهزاء من هذا الفعل فقال» «رحم الله الحطيئة الذي لم يتعرّف على علم التجميل وتصنع وجوه جديدة لبني آدم».

وفي ختام قولي تحلو الصلاة على الحبيب محمد وآل بيته الأطهار, اللهم صلِّ على محمد وآل محمد أجمعين.

الهوامش

١- هجاء مقذع / خالد القشطيني / صحيفة الشرق الأوسط / ١ .

٢- الهجاء الجاهلي / عباس بيومي / ١٣٠ .

٣- لسان العرب / ابن منظور / المجلد ١٥ / ٥٥٣ .

٤- الهجاء الجاهلي صوره واساليبه / عباس بيومي / ١٢٦ .

٥- المصدر السابق نفسه.

٦- الحيوان جـ ٢ / ١٨٢ .

٧- العمدة جـ ١ / ٢٧١ .

٨- لسان العرب / ١٨٥ .

٩- المصدر السابق نفسه.

١٠- اساس البلاغة جـ ٢ / ٥٣٥ .

١١- محيط المحيط مادة هجو.

١٢- لسان العرب المجلد ١٥ / ٣٥٣ .

١٣- المرجع السابق نفسه.

١٤- المرجع السابق.

١٥- أساس البلاغة جـ ٢ / ٥٣٥ .

١٦- لسان العرب المجلد ١٥ / ٣٥٣ .

١٧- لسان العرب / ١٨٥ .

١٨- المصدر السابق نفسه.

١٩- الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية / عباس بيومي عجلان / ١٠٩ .

٢٠- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه / د. يحيى الجبوري / ١٢٩ .

٢١- الهجاء من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي / د. عبد العزيز بن محمد / ١٨٠ .

٢٢- ينظر الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول / د. حسين عطوان / ٨٥ .
ورؤية العالم في شعر الصعاليك / مطر بن عمر العنزي / ٧٦ .

٢٣- فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / جـ ١٠ / ٥٦٤ .

٢٤- الشعراء النقاد / د. عبد الجبار المطلبي / ٧٥ .

٢٥- العالم بين مرارتين هجاء الذات ورثائها / فراس حج محمد / مقالة.

٢٦- الهجاء الجاهلي / عباس بيومي / ١٢٤ .

٢٧- المصدر السابق نفسه.

٢٨- الأمالي / محمد بن العباس اليزيدي / ٢٠٥ .

٢٩- نقد الشعر / ٥٩ .

٣٠- ينظر الشعر والشعراء/ ابن قتيبة / ١٧ – ٢٧ – ١٨٠ والبيان والتبين ٢٠٤ – ٢٠٦.

٣١- الشاعر الذي هجا نفسه وأمه وزوجته / أحمد محمد خلف / مقالة ص٣ / أدباء وشعراء .

٣٢- الأغاني / ١٣٠ .

٣٣- الشعر والشعراء / ١٨٠ / والبيان والتبين / ٢٠٦ .

٣٤- من هو الشاعر الذي هجاء نفسه / غادة الحلايقة / ٢ / مقالة أدباء وشعراء.

٣٥- الأصفهاني جـ ١ / ١٣١ .

٣٦- المرجع السابق نفسه.

٣٧- الأغاني / لأبي فرج جـ ١ / ١٣٥ .

٣٨- السخرية في الأدب العربي / د. نعمان محمد أمين / ٧٥ .

٣٩- المصدر السابق نفسه.

٤٠- خزانة الأدب / عبد القادر البغدادي / ٢٣٥ .

٤١- ديوان الحطيئة / شرح ابن السكيت / ١٣٧ .

٤٢- الشاعر الذي هجا نفسه / سوسن جمال صلاح الدين / مقالة ص٣ / ٢٠١٩ .

٤٣- بناء قصيدة الهجاء عند الحطيئة / اطروحة / أمنية بو طالبي / ص١٥ / ٢٠١٣ .

٤٤- فن الهجاء وتطوره / إيليا حاوي / ١٧٥ .

٤٥- العالم بين مرارتين / فراس حج محمد / مقالة / ص٣ .

٤٦- المصدر السابق نفسه.

٤٧- نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة / د. عناد غزوان / مجلة البلاغ ع٢ / ١٩٧٢ .

٤٨- طبقات فحول الشعراء / ١٣١ .

٤٩- هجاء مقذع / خالد القشطيني / مجلة الشرق الأوسط العدد ١٤٥٧٧ / ٢٠١٨ .

٥٠- العالم بين مرارتين / فراس حج محمد / مقال.

٥١- الاعلام / الزركلي / ٤٩ / ٤ ط٥ .

٥٢- ديوان ابي دلامة جـ ١ / شرح اميل بديع يعقوب.

٥٣- مدخل للشاعر / ياسر التويجري / مقالة في جريدة الرياض ص٥ / ٢٠١٤ .

٥٤- الصورة الساخرة في قصيدة الهجاء / محمد شاكر ناصر / مقالة في مجلة العلوم الإنسانية العدد ٧ – ٢٠١١ ص ٢٨ و ٤ و ١٨ .
٥٥- د. نعمان محمد أمين / السخرية في الأدب العربي / ٧٥ .
٥٦- تاريخ جاهلية العرب وملوك الشعر / ابن سعيد الأندلسي / ٢٠٥ .
٥٧- خريدة القصر وجريدة العصر / عماد الدين الاصفهاني / ٣٠١ .
٥٨- الهجاء / موسوعة المصطلح النقدي / ١٤ .
٥٩- فصول في الشعر ونقده / شوقي ضيف / ج١ / ٢٣٦ .
٦٠- تاريخ جاهلية العرب وملوك الشعر / ابن سعيد الاندلسي / ١٠٥ .
٦١- الذيل والتكملة / ٢٥٠ .
٦٢- تاريخ جاهلية العرب / ٣٠١ .
٦٣- عصر الدول والإمارات / شوقي ضيف جـ ١ / ٢٣٦ .
٦٤- الهجاء الجاهلي / عباس بيومي / ١٢٦ .
٦٥- ديوان أبي العتاهية / ١٠١ .
٦٦- ينظر حدود الاعلام الساخر / رأي ودراسات صحيفة الخليج.
٦٧- مدخل للشاعر / ياسر التويجري / جريدة الرياض .
٦٨- تقويم الذات / عادل شويح / ٩ وما بعدها.

المصادر والمراجع

١- أساس البلاغة / الزمخشري / ت معد محمود وآخرون / القاهرة ١٩٥٣ .

٢- الاعلام / الزركلي ط٥ دار العلم / ١٩٨٠ .

٣- الاغاني / ابي فرج ط دار الكتب المصرية ١٩٥٢ .

٤- الامالي / محمد بن العباس اليزيدي ط دائرة المعارف العثمانية.

٥- بناء قصيدة الهجاء عند الحطيئة / اطروحة أمينة بو طالبي / ٢٠١٣ .

٦- تاريخ جاهلية العرب وملوك الشعر / ابن سعيد الاندلسي / ت نصر عبد الرحمن مكتبة الاقصى .

٧- تقويم الذات / عادل شويخ / دار الفكر المعاصر / ٢٠٠٥ .

٨- حدود الاعلام الساخر / رأي ودراسات صحيفة الخليج.

٩- الحيوان جـ ٢ الجاحظ / ت عبد السلام هارون / الناشر مصطفى البابي ١٩٦٥ .

١٠- خريدة القصر وجريدة العصر / عماد الدين الاصفهاني / مطبوعات المجمع العلمي العراقي.

١١- خزانة الأدب / عبد القادر البغدادي / ت عبد السلام هارون / مكتبة الخانكي ط٤ , ١٩٩٧ .

١٢- ديوان ابي العتاهية / دار بيروت / ١٩٨٦ .

١٣- ديوان أبي دلامة جـ ١ / شرح اميل بديع يعقوب / دار جيل بيروت.

١٤- ديوان الحطيئة / شرح ابن السكيت / تقديم حنا نصر الدين / دار الكتاب العربي / بيروت / لبنان .

١٥- الذيل والتكملة / ابن عبد الملك المراكشي / ت احسان عباس دار الثقافة / ١٩٦٥ .

١٦- رؤية العالم في شعر الصعاليك / مطر بن عمر العنزي / جامعة دمشق المكتبة الالكترونية.

١٧- السخرية في الأدب العربي / د. نعمان محمد أمين / ط الناشر خاص ١٩٧٩ .

١٨- الشاعر الذي هجا نفسه / سوسن جمال صلاح الدين / مقالة / ٣ / ٢٠١٩ .

١٩- الشاعر الذي هجا نفسه وامه وزوجته / احمد محمد خلف / مقالة / ٣ أدباء وشعراء.

٢٠- الشعر والشعراء / ابن قتيبة / ت – احمد محمد شاكر دار الحديث القاهرة ١٤٢٣ ه .

٢١- الشعراء الصعاليك في العصر العباسي الأول / د. حسين عطوان طـ٢ دار الطليعة بيروت ١٩٨١ .

٢٢- الشعراء النقاد / د. عبد الجبار المطلبي / دار الشؤون الثقافية.

٢٣- الصورة الساخرة في قصيدة الهجاء / محمد شاكر ناصر / مقالة في مجلة العلوم الإنسانية العدد ٧ / ٢٠١١ .

٢٤- طبقات فحول الشعراء / ابن سلام الجمحي / ت محمود محمد شاكر دار المدني ط ٢٠١٩ جدة.

٢٥- العالم بين مرارتين هجاء الذات ورثائها / فراس حج محمد / مقالة.

٢٦- عصر الدول والامارات / شوقي ضيف / جـ ١ دار المعارف مصر / ط٢ / ١٤٢٦ه .

٢٧- العمدة جـ ١ / ابن رشيق ت محمد محيي الدين / المكتبة التجارية مصر ١٩٧٢ .

٢٨- فتح الباري / ابن حجر العسقلاني / دار المعرفة

بيروت ١٣٧٩ هـ .
٢٩- فصول في الشعر ونقده / شوقي ضيف / دار المعارف مصر / ١٩١٠ .
٣٠- فن الهجاء وتطوره / إيلياحاوي / دار الثقافة ١٩٩٨ .
٣١- لسان العرب / ابن منظور / ط صاد المكتبة الوقفية تاريخ الاصدار ١٩٩٩ .
٣٢- محيط المحيط / بطرس البستاني ت محمد عثمان دار الكتب العلمية ٢٠٠٩ .
٣٣- مدخل للشاعر / ياسر التويجري / مقالة في جريدة الرياض ٢٠١٤ .
٣٤- نزعة التمرد والسخرية في شعر الحطيئة / د. عناد غزوان / مجلة البلاغ ع٢ ١٩٧٢.
٣٥- نقد الشعر / قدامة بن جعفر / ت كمال مصطفى / مكتبة الخانجي ١٩٦٢ .
٣٦- الهجاء / موسوعة المصطلح النقدي.
٣٧- الهجاء الجاهلي صوره اساليبه / عباس بيومي / مصر ١٩٨٥ .
٣٨- هجاء مقذع / خالد القشطيني / صحيفة الشرق الأوسط / مقالة ص١ العدد ١٤٥٧٧ / ٢٠١٨ .